الـفـصل الأول

حـياته (1714ـ 1780)

1) المؤثرات العصرية على فكره.

2) موقفه من المذاهب.

3) أعماله.

الفصل الأول

حـيـاتـه

ولد كوندياك (إتيين بونو) Condillac Etienne Bono فى جرنوبل Grenoble فى الثلاثين من ستمبر عام 1714 وهو ينحدر من أسرة قضائية، فقد كان والده جابرييل بونو Gabiel Bonnot يعمل مستشاراً ببرلمان جرنوبل[1].وقد حمل إتيين إسم كوندياك منذ عام 1720، وهو العام الذى اشترى فيه والده منطقة نفوذ وضياع فى كوندياك بالقرب من رومان[2]. ومما يذكر عن حياته أنه كان يعانى من ضعف شديد فى الإبصار منذ طفولته مما جعله لا يعرف كيف يقرأ حتى سن الثانية عشر.

وفى عام 1727 توفى والده فتولى شقيقه الأكبر شئون تربيته، وكان يدعى جون بونو دى مابلى Jean Bonnot de Mably، ويشغل منصب قاضى Prevet ومدير كبير فى ليون Leon [3]. ويذكر أن كوندياك قد تعرف من خلال شقيقه ذلك على الكاتب الكبير والفيلسوف جان جاك روسو J.J. Rousseau وذلك فى عام 1739[4].

ومنذ عام 1730 استقر كوندياك مع شقيق آخر له يدعى القس دى مابلى L'abde de Mably الذى كان مشهوراً وذائع الصيت فى

---

(1) Condillac. E.B:Traite des sensations lere partie. Par Armand cuvillier, Larousse, Paris- VI P 5.

(2) Ibid.

(3) Ibid.

(4) Ibid.

عالم الأدب [1]. ، كما اهتم بدراسة التاريخ زوال نشاطاً واسعاً فى مجال الإصلاح الاجتماعى، وفى تلك الأثناء التحق كوندياك بمدرسة سان سولبيس الإكليركية Saint Sulpice غير أنه تعثر فى دراسته واهتم بدراسة الفلسفة، كما شغف بالرياضيات أكثر من اهتمامه بعلم اللاهوت، غير أنه منذ عام 1740 سلك مجال الرهبنة فذهب إلى دير مورو L'abbay de Mureaux وشغل منصب قسيس، غير أنه لم يمارس مهام مهنته "فلم يمارس الكهنوت[2].وتجدر الإشارة هنا على أن بعض الموسوعات الفلسفية تشير إلى اهتمام كوندياك الشديد باللاهوت، كما يشير بعضها إلى أنه ولد فى عام 1715 وليس عام 1714 كما أشرنا من قبل، وعلى الرغم من قلة المصادر التى تمدنا بمعلومات موسعة عن مراحل تعليمه إلا أن ما قرأناه عنه يفيد كراهيته الشديدة للعلم الذى تلقاه وهو يتفق فى ذلك مع غيره من علماء وفلاسفة عصره. فقد وجد فى نظم التعليم التى تلقاها قصوراً شديداً فأحس بعدم جدوى تعلمه الذى كان يقول عنه: "كلما اغترفت منه كلما أحسست بالجهل والتقصير" [3].

وكان عليه وقد نقد هذه النظم أن يعدلها ويغيرها ، وأن تنفذ سهام نقده لأساليب التدريس والتعليم التى كانت متبعة فى عهده، وكان أشد ما يحزنه ويثير ندمه أنه لم يكتشف بعد منهجاً جديداً ، ولم يستطع

([1]) Ibid.

([2]) Ibid.

([3]) Ibid.

يتشابه موقف كوندياك فى رفضه لنظم التعليم فى عصر، لما اعتراها من قصور شديد مع نفس الموقف الديكارتى من التعليم فى مدارس اليسوعيين فى عصر، ونقده للمناهج المتبعة فى التدريس كذلك. مما يدفع للقول بوجود روح النقد عندهما وكونها فى شخصيتهما منذ مراحل تعليمهما الأولى.

إمدادنا بطريقة منهجية، أو تصور سليم للحقيقة والعلم على نحو ما فعل ديكارت عندما كتب مقاله عن المنهج وتتبع فيه مسيرة العقل الإنسانى فى بحثه عن الحقيقة [1].

وفى طريق البحث عن الحقيقة انخرط كوندياك فى المجتمعات والصالونات فخالط الكثيرين من الشخصيات خاصة فى صالونى مدام تنسين Tencin شقيقة والدته التى كان يهوى الذهاب إلى صالونها[2]. ومدام جيوفرين Geoffrin حيث التقى عندها بالفيلسوف جان جاك روسو ونشأت بينهما صداقة، فقال عنه الأخير فى كتابه "إميل" L'Emile "عرفت رجلاً شرفت بصداقته" كانت أسرته ترى فيه شخصاً محدود الأفق ولم يرد بخلدهم أن نضج عقله كان يتم فى صمت، أما فى كتابه "اعترافات" Confessions فقد كتب بعد ذلك يقول فيه:- "..... قد أكون أول من اكتشف كنهه وقدره بالقدر الذى يستحقه"[3]. وقد قدم روسو إلى ديدرو Diderot قائلاً عنهما:- "خلق كل منهما ليتفق مع الآخر وقد اتفقا"[4].

ويذكر أن ثلاثتهم كانوا يتناولون أسبوعياً وجبة العشاء معاً فى فندق السلة المزدهرة Hotel du Panier-Fleur فى حى القصر الملكى باليه رويال- Palais-Royal au وقد أودع روسو لدى كوندياك النسخة الخطية للحوار الذى أسماه "روسو يحاكم جان

---

(1) Dedier, Jean: Condillac, Paris librairie, Bloud 1911, Philosophe et penseurs, P 7.

(2) Ibid.

(3) Ibid.

(4) Ibid.

جاك"[1]. ، وقد توطدت العلاقة بين كوندياك وديدرو إلى حد كبير عندما استعان الأخير بكتابي الأول: "مقال فى أصل المعارف الإنسانية" و"رسالة فى المذاهب" فى مقالاته الخاصة بالموسوعة، غير أن كوندياك لم يشترك بالمرة فى هذا العمل، وكان كتابه المفضل هو كتاب لوك الذى ترجمه كوست (فقد كان كوندياك يجهل الإنجليزية والألمانية)، كما ارتبط بعدد من الشخصيات أمثال: ديكلور، ودالمبير، وميران، وكاسينى، وبارتيلمى، وهلفيتيوس وهم من كتاب الموسوعة[2]. انتهى كوندياك بعد تفكير طويل إلى نشر أول أعماله وهو "مقال فى أصل المعارف الإنسانية" وذلك عام 1746، وكان مدار مضمونه ينطوى على تركيز الإدراك البشرى فى مبدأ واحد[3]. وفى عام 1749 ظهر له كتاب هام بعنوان "رسالة فى المذاهب" ينقد فيه المذاهب النظرية[4].

وكانت صلة كوندياك كبيرة بكتاب الموسوعة Encyclopedistes مثل دالمبير d'Almbert، وموريليه Morellet وجريم Grimm وهلفيتيوس Helvetius فضلاً عن دوكلو Duclos، وميران Mairan والقس بارثيليمى Barthelemy، والفلكى كاسينى Cassini، ولم ينصرف كوندياك رغم صلته بهؤلاء الفلاسفة و الأدباء عن الروحيات، كما لم يحد عن معتقداته الدينية[5]..فقد ظل يرتدى

([1]) Ibid.

([2]) Ibid.

([3]) Ibid.

([4]) Ibid.

([5]) Ibid.

ثوب الكهنوت لفترة طويلة من حياته[1]. على الرغم من أن بعض الآراء ترى عكس ذلك، وتذهب إلى أنه عمل بالدين فترة وجيزة ثم ترك وظيفته واشتغل بالعلم، وقد سبق أن نوهت إلى ذلك. وفى عام 1752 عين كوندياك عضواً فى الأكاديمية الملكية (رويال) ببرلين، وبعد عامين أى عام 1754 ظهر كتابة "دراسة فى الإحساسات"، كما ظهر كتاب "دراسة فى الحيوان" عام 1755[2].

اهتم كوندياك بالتربية من عام 1758 إلى يناير 1767 عملاً بوصية الملكة مارى لكزنسكا Mari Leczinska فعمل معلماً ومربياً لولى عهد منطقة بارم Parm (الذى أصبح دوقاً فيما بعد)، وهو ثانى حفيد للملك لويس الخامس عشر Louis Xv [3]. وكان هذا التلميذ يبلغ السابعة من عمره، كتب كوندياك فى شأن تربية هذا الطفل وتعليمه يقول: "كان ينبغى على أن أصبح بدروي طفلاً مثله لا معلماً كنت أتركه يلعب وأشاركه اللعب، غير أننى كنت أوجه نظره إلى ما يفعله، وأوضح له كيف أتى بهذه الأفعال[4]. وكانت هذه الملاحظات على ألعابه تمثل بالنسبة له لعبة جديدة، وقد اعترف بعجزه عن القيام بالكثير من الحركات التي كانت تبدو له حتى هذه اللحظة طبيعية، كما رأى ولاحظ كيف تقلد العادات، وكيف يكتسب الفرد الحميد ويصلح السيء منها[5]. ولم يمض شهر واحد أو أقل على الطفل

([1]) Encyclopedia of Philosophy Volume (1) collier macmillan , reprint Edition 1973-U.S.A, an Eassay, Philip.P.Halie P.108

([2]) Ibid.

([3]) Ibid.

([4]) Ibid.

([5]) Ibid.

إلا وتعلم جميع الأفكار الفلسفية الأساسية الخاصة بأستاذه، وكما كان يفعل الرجال منذ فجر التاريخ فقد أخذ الأمير يحرث أرضه ويبزر قمحه، ويراقبه وهو ينمو ثم يحصده، وكان كوندياك يُدرس له العلوم والفلسفة وكان يقول لتلميذه: "فى غضون الأيام التالية سوف أعلمك تجربة عدة قرون مضت[1].، ويذكر كوندياك طريقة تعليمه للطفل وكيف أنهم قرءا معاً فى أول الأمر الشعراء الفرنسيين، وخاصة راسين يقول فى ذلك: أمضينا عاماً وبضع عام فى قراءة راسين، وقد أعدنا قراءته إثنتا عشرة مرة لأنه يعد من أكثر الكتاب تمتعاً بخاصية تكوين الذوق الأدبى، وقد حفظ الأمير كل شيء عن ظهر قلب. ولم يتطرق كوندياك إلى دراسة اللغة اللاتينية إلا بعد ذلك بفترة لاعتقاده بأنه لن يستفيد منها[2]. ما لم يكن ملماً إلماماً كاملاً بلغته الأصلية يقول كوندياك فى الإشارة إلى أهمية اللغة: "فأى جدوى فى تلقينه أشياء باللغة اللاتينية وهو يجهلها فى لغته الفرنسية، فى حين أنه تعلمها بالقراءة لا بالقواعد أو النحو".

وبعد أن علم كوندياك تلميذه شعر راسين، شرع فى تعليمه قراءة مسرحيات كورنى Corneille، وموليير Moliere، وروينارRegnard، وفولتير Voltaire[3].

وانتهى كوندياك وتلميذه من دراسة الشعر والمسرح إلى دراسة التاريخ، يقول كوندياك عن دراسة التاريخ: "لقد كان التاريخ بالنسبة لى مجموعة من الملاحظات والمشاهدات تقدم للمواطنين من كل

---

(1) Ibid.
(2) Ibid.
(3) Ibid.

الطبقات حقائق نسبية، فيجب أن يكون التاريخ محاضرة فى الأخلاق والتشريع"[1].

ويرى كوندياك أنه من بين خضم الأحداث والحقائق يجب أن تنقد تلك التى ساهمت فى تكوين المجتمعات المدنية وتحسينها والدفاع عنها وتصحيح أوضاعها أو تدميرها[2]. والتاريخ ينقسم إلى مراحل غالباً ما تنتهى فى كل مرة بثورة، وكان كوندياك قد كتب بعض أفكار حول كتاب "روح الدراسات التاريخية" L'Esprit des etudes historiques أشاد فيها بمحاسن لا سيديمون Lacedemone، والصلابة الجمهورية وكان التلميذ يتعلم فى ذات الوقت الفيزياء والرياضيات وحساب التفاضل فضلاً عن الهجوم والفرار والدفاع عن الأماكن[3].

وهكذا كانت مبادئ كوندياك التربوية الممتازة تسهم فى تكوين معارف التلميذ الأساسية. وهذه كانت سمة معارفه التى كانت تكوَّن الأفكار الحقيقية فى عقل متلقيها أكثر منها فى ذاكرة القائم على التعليم، فنحن نتعلم الأشياء بصورة أفضل عندما نتمكن من خلقها بمفردنا[4].ويذهب كوندياك كذلك إلى أنه إذا ما أردتم إقصاء المتملقين عن طريقكم فليس هناك إلا سبيل واحد هو أن تكونوا أكثر علماً منهم[5]. ويذكر عن حياة تلميذه أنه قد مرض بعد أن قام ترونشان

---

(1) Ibid.
(2) Ibid.
(3) Ibid.
(4) Ibid.
(5) Ibid.

Tronchin بتطعيمه واستدعى ذلك أن يقوم هو نفسه بتمريضه ورعايته، فاعتنى به وأولاه رعاية أبوية حتى وقع فريسة لمرض الجدرى[1].على هذا النحو الذى سلكه كوندياك مع تلميذه اتجه إلى مجال التربية والتعليم، وألم وإلماماً كاملاً بوسائل تعليم الطفل[2].وقد أفادته مهنة التدريس فى الاطلاع على تاريخ الفلسفة، أعمال مونتسكيه Montisquest وهيوم Hume ، وقد أثمرت جهود كوندياك خلال هذه السنوات عن ظهور كتابه "محاضرة فى الدراسات" Cours d'etudes الذى ألفه من أجل تلميذه[3].

تولى الأمير الصغير الحكم عام 1765 وقد كتب دالمبير إلى قولتير قائلاً عنه: "علمت أنه يمضى وقته فى زيارة الرهبان، وقد تزوج من نمساوية تميل إلى السيطرة وكان كوندياك قد قام بكتابة محاضراته: النحو، فن التفكير، فن الاستدلال، التاريخ القديم والحديث للإنسان والإمبراطوريات فى الفترة من عام 1769 إلى 1733، وقد اعترض البلاط الملكى الإسبانى عام 1775 على نشر هذه الأعمال إلا أن الكثير منها قد تم تداوله، كما ظهرت طبعة جديدة فى دوبون[4]. وفى الثانى والعشرين من ديسمبر عام 1768 انتخب كوندياك عضواً فى الأكاديمية الفرنسية[5]. ، وكان قد سبق له عضوية الأكاديمية الملكية فى بروسيا خلفاً لدوليقييه d'olivet غير أنه لم

---

(1) Ibid.
(2) Ibid.
(3) Ibid.
(4) Ibid.
(5) Ibid.

يذهب، كما نشر كتابه "محاضرة فى الدراسات" فى خلال أعوام 1769-1776 مكتوباً فى 17 مجلد، وكان يتضمن موضوعات فى النحو، وفن الكتابة، وفن الاستدلال، وفن التفكير والتدبر.... إلخ[1]. كما ظهر كتابه عن "التجارة والحكومة منظوراً إلى كل منهما قياساً بالأخرى".

وفى عام 1778 ظهرت الطبعة الثانية من "دراسة فى الإحساسات" كما نشر كتابه "المنطق" تلبية لطلب الأمير بوتوكى Potocki الذى كان فى حاجة إلى كتاب فى المنطق يدرس دور العلم فى ليتوانيا Lithuanire [2].وقد وافت كوندياك منيته فى اليوم الثانى من شهر أغسطس عام 1780 فى قصر فلو Flux بالقرب من بوجونسى Beaugency حيث اعتزل المجتمع بعد أن قضى حياة حافلة بالعلم والعمل[3].

وبعد حوالى ثمانية عشر عاماً نشر لاروميجيار Laromiguiere أعمال كوندياك الكاملة التى تضمنت كتاب "لغة الحساب" وهو عمل لم يظهر إلا بعد وفاته[4]. وجدير بالذكر أن كوندياك كان يصغر بيركلى Berkely بنحو تسعة وعشرين عاماً، ومونتسكيو بخمسة وعشرين عاماً، وفولتير بعشرين عاماً، ودوكلو Duclos بعشرة أعوام، وبوقون بسبعة أعوام، وهيوم بثلاثة أعوام[5]. كما كان يصغر روسو

([1]) Ibid.

([2]) Ibid.

([3]) Condillac,E.B: Traite des sensations, lere partie, par Armand cuvilloer, larousse, Paris- VI P5.

([4]) Dedier, Jean: Condillac p11.

([5]) Ibid.

بعامين، وديدرو *Diderot* بعام واحد. وكان فى ذات الوقت يكبر العديد من الفلاسفة فقد كان يجاوز هلقيتيوس وقوقنارج Vauvenargues بعام واحد، ودالمبير بثلاثة أعوام ويكبر شاررك بونيه *Bonnet* بستة أعوام، وتورجوه Turgot بثلاثة عشر عاماً، كما جاوز كوندروسيه Condorcet بتسعة وعشرين عاماً، وتراسى Tracy بأربعين عاماً، ولا روميجيار باشتي وأربعين عاماً، وكابانيس Cabanis بثلاثة وأربعين عاماً[1].

كانت حياة كوندياك مثار إعجاب الكثيرين فى عصره، يقول عنه بيكافيه "لقد أمضى كوندياك حياته فى العمل الذى كان محل تقدير حتى من ألد أعداء نظرياته، الذين لم يجرؤا على النيل منه أو الطعن فى أخلاقياته، وهو يعد من القلائل الذين يمكن الحديث عنهم بهذه الكيفية فى القرن الثامن عشر مع أنه لم يمارس مهام الكهنوت بالمرة[2]. يقول ستيقن ج نورين عن كوندياك فى الموسوعة الأمريكية: ".... كان فيلسوفاً فرنسياً معاصراً لجان جاك روسو ودنيس ديدرو، وكان الفيلسوف الوحيد من بين الموسوعين الذى سعى لخلق نظرية نسقية فى المعرفة، كما كان شديد التأثر بلوك، وساعد على إضافة الاتجاه السيكولوجى اللوكى إلى الفكر الفرنسى فى القرن الثامن عشر[3].

1) المؤثرات العصرية على فكره:

([1]) Ibid.

([2]) Ibid.

([3]) Encyclopedia Americana, International EditionU.S.A, V.21, Copyright 1980 P 819 Stephen, J. Noren.

لقد عاصر كوندياك ظروفاً اجتماعية وسياسية وفكرية كان لها أكبر الأثر على فكره خاصة منذ عام 1754، فعلى المستوى السياسى كان لويس الخامس عشر قائماً على الحكم فى الفترة من عام 1710 إلى عام 1774، وقد خضع فى خلال هذه المرحلة لسيادة وسيطرة مدام بومبادورPompadour، وكانت الحروب والخلافات و المنازعات الدينية تمزق أوصال فرنسا فى هذه الآونة مثل (قضية أوراق الاعتراف 1752-1756) [1]. كذلك وجود المعارضة البرلمانية، والصعوبات المالية فضلاً عن تزايد الكراهية للنظام الملكى من قبل الشعب (مظاهرات الأيام الأربعة فى باريس- مايو 1750) وتزايد حالة السلام المسلح التى كانت تسود البلاد بصفة مؤقتة بعد إبرام معاهدة السلام "إكس لا شابل" عام 1748، وذلك لوجود التنافس الاستعمارى مع إنجلترا[2].

ومن أهم الأحداث السياسية فى تلك المرحلة هى اشتعال حرب السنين السبع La guerre de sept ans التى انفجرت عقب استدعاء دوبلكس Dupleix الذى نجح فى فرض النفوذ الفرنسى فى الهند فى أغسطس عام 1754، وقد بدأت الحرب عقب ذلك وبالتحديد فى عام 1755 وانتهت بانهيار الامبراطورية الاستعمارية الفرنسية[3].

أما فى مجال الأدب فقد ظهرت "الرسائل الفلسفية" Lettres Philosophiques لفولتير عام 1734، وكذلك كتاب "عناصر فلسفة نيوتن" Elements de la Philosophie de newton فى عام 1738،

---

(1) Condillac: Traite des Sensations Par Armond Cuivilier P5.

(2) Ibid.

(3) Ibid.

كما ظهر لمونتسكيو كتاب "روح القوانين" Esprit de lois عام 1748، ونشر لديدرو "رسالة عن المكفوفين" Lettre sur les aveugles عام 1749.

وكتب برقون فى نفس العام مجلده الأول فى "التاريخ الطبيعى" Premiere Volume de l'histoire naturelle [1].

وفى عام 1751 ظهرت الموسوعة وبها خطاب أو حديث تمهيدى لدالمبير، وقد غادر فولتير بروسيا عام 1753 واستقر فى قرنى Ferney عام 1755، وعاد روسو إلى جنيف عام 1755 وأصدر كتابه عن "أصل نشأه عدم المساواة" Disours sur l'origine de l'inegalite، كما صدر كتاب هلفيتيوس "عن العقل" De L'esprit عام 1758[2].

وتعدت الأحداث مجالى السياسة والأدب إلى فن المسرح ، فقد ظهرت مسرحية "روما المنقذة" لفولتير على خشبة المسرح الفرنسى، أما روسو فقد ألف أوبرا "عراف القرية" وفى الوقت نفسه ألف كريبيون Crebillon تراجيدي (مأساة) "التريومفيرات" Le triumvirat [3].

فضلاً عن المؤثرات والظروف المعاصرة للفيلسوف فى فرنسا، فقد كان للفكر الإنجليزى تأثير عليه، خاصة منذ بدأت الأفكار والمعارف الإنجليزية تتسرب إلى فرنسا منذ عام 1734 عندما نشر فولتير بعض الرسائل الفلسفية التى ألقت الضوء على الحضارة الإنجليزية، ومن خلال هذه الأعمال الفلسفية مدح فولتير كل من فلسفتى نيوتن ولوك

---

(1) Ibid.
(2) Ibid.
(3) Ibid.

فحظي هذان الشخصان بإعجاب جم فى المجتمع الفرنسى فى ذلك الحين، فإذا أضفنا إلى ذلك ما قام به بيير كوست من ترجمات لبعض أعمال لوك عام 1700، فضلاً عن اهتمام فوليتر بفلسفة نيوتن والتى عبر عنها عام 1738 لظهر لنا التأثير الإنجليزى واضحاً على الفكر الفرنسى.

وهكذا فقد اجتمعت هذه العوامل وساعدت كوندياك الذى كان على علم قليل باللغة الإنجليزية ساعدته هذه التراجم والكتابات على الإعجاب بالفلسفة الإنجليزية، والتأثر بها، ونظراً لخوضه فى هذه التجربة المعارضة للأفكار الميتافيزيقية فقد انصرف قليلاً عنها، ولم يتتبع فكر ديكارت ولوك وأسلوب نيوتن البسيط الخاص بفهم الأفكار الكونية، وقانون الجاذبية، إلا أنه فى عام 1740 أظهر كوندياك ولاءه الشديد لنيوتن، وهذا الأمر يجسد الأفكار المثالية لكوندياك، وكذلك لفلسفة الحياة الخاصة به.

إلا أن كتابة الرئيسى "دراسة فى الإحساسات" هو الذى وضعه على طريق الميتافيزيقا الحقيقى، فأصبح بعد نشره الرجل الميتافيزيقى الفرنسى الشهير.

2) موقفه من المذاهب:-

تأثر كوندياك شأنه شأن غيره من المفكرين بروح العصر الذى عاش فيه سواء كان هذا التأثير إيجابياً أم سلبياً فعلى الرغم من معارضته الشديدة لفكر ديكارت ولفيزيقاه بوجه خاص بيد أنه لم يفلت من تأثير بعض جوانب هذا الفكر العقلى عليه، كما عمل جاهداً- فى ذات الوقت- على تغيير صورته خاصة فى تمييزه الشهير

بين الفكر والامتداد، فاستبدل القوى التى وضعها ديكارت فى الفكر بالإدراك الحسى البحت روح مذهبه المادى، وبذلك خالف تصور ديكارت فى هذه الناحية[1]. ولكن قول كوندياك بأهمية الإحساس واعتباره مصدراً للمعرفة وتصوره للألوان والأصوات باعتبارها إحساسات وبامتلاكها لوجود حقيقى ومستقل عن الذهن يكمن فى فكرة الامتداد[2]. وهكذا نرى كوندياك- يحسم مثله مثل ديكارت- الأمر فى ثنائية الفكر والإمتداد وقد استعاد كوندياك من ديكارت فكرة الأفكار الواضحة الجلية والمتميزة، والميل إلى تفسير كل شئ بطريقة عاقلة منطقية، وكذلك استعار منه أسلوب البدء من البسيط فإن الأبسط فى هذه الحالة لا يكون هو المجرد فحسب وإنما الأكثر تأثراً بالإحساس.

ولم تكن صلة كوندياك بمذهب مالبرانش تقل عن صلته بمذهب ديكارت فقد قرأه واستوعب ميتافيزيقاه، لكنه خالفه فى نظريته عن "الرؤية فى الله" وفى بعض المسائل المتعلقة بمذهبه مثل موضوع الحواس والتخيل، إلا أنه تأثر بمذهبه فى المناسبات[3].

---

(1) Ibid.

(2) La Roy, Georges: La Pcychologie de Condillac, Larousse, Paris 1937 P 17.

(3) نيقولا مالبرانش Malebranche, Nicolas, de (1638-1715) فيلسوف فرنسى حديث، أحد أتباع المدرسة الديكارتية، تابع ديكارت فى مذهبه العقلى، وفى عقيدته المسيحية، فكان فيلسوفاً كاثوليكياً متديناً .

يرتبط مذهبه فى المناسبات عن كثب بفكرة العلية Causalite التى تعنى عنده العلاقات المنظمة بين أنواع المخلوقات، وقد استمد منه الفيلسوف فكرة القانون، أما مفهوم العلية الطبيعية فيعنى العلاقات المنظمة التى ترتبط العلة بالمعلول، ويرى

Occaisions، وهو ذلك المذهب الذى يرى أن المخلوقات وأفعالها مناسبات لوجود موجودات وأفعال أخرى بفضل قدرة الخالق، وقد اعتبر كوندياك أن الظواهر الجسمية التى تصاحب الإحساس وهو ما يمثل ظاهرة أصيلة مجرد مناسبات لظهور الإحساس. أما أثر ليبنتز Leibniz على كوندياك فقد ظهر جلياً فى نظرياته المنطقية أكثر منه فى كتابه "دراسة فى الإحساسات".

وفضلاً عن ذلك فقد اطلع كوندياك على مذهب سبينوزا، كما قرأ منطق بور – رويال Port-Royal واستوعب فيزياء نيوين Newton التى كان لها أعظم الأثر على الفكر الفرنسى فى القرن الثامن عشر، وكان هذا العالم الإنجليزى الكبير مثار إعجاب الفرنسيين خاصة بعد أن نشر له فولتير مع فلسفتى بيكون ولوك فصلاً كاملاً فى "رسائله الفسلفية" وأتبع هذه الرسائل بكتاب خاص عن

مالبرانش أن الشيء الذى يبدو علة Cause ظاهرة للحركة فى الطبيعة لا يمثل فى حقيقة الأمر العلة الأصلية لها؛ لأن علتها الحقيقية هو الله، أما هذه العلل التى تبدو ظاهرة أمامنا كأنها أسباب مباشرة لفعل شيء ما فما هى إلا أسباب= =طبيعية أو علل مناسبة لاتصال الحركة ذلك أن الأثر الإلهى إنما يلحق بالموجودات عن طريق علل مناسبة تكون كالقوابل للفعل الإلهى طبقاً لما تحدده قوانين الله وإرادته، ووفق حكمته الأبدية ومشيئته.وهكذا تفترض نظرية "العلل المناسبة" Causes Occaisionelles أن الألوهية هى العلة الوحيدة فى الوجود، أن جميع ما نسميه علاً ما هى إلا مناسبات للفعل الإلهى. وهنا تطويراً لنظرية المناسبات التى أشار إليها "ديكارت" تلك النظرية يرجع فيها "مالبرانش" كل علة حقيقية إلى وحدة داخل إطار من المناسبات (الفرص) Occaisions المتناهية.

Malebranch, N: Entretiens sur la Metaphysiques et sur la Religion Par Paul Fontana, Librairie Arnauld Colin, Paris 1922, Entretien , N 4. P.P.36. 37,88,89.

"عناصر فلسفة نيوتن"، وقد كتب كوندياك عن نيوتن فى مؤلفه "دراسة فى المذاهب" "قبل أن يشرع نيوتن فى تكوين العالم اكتفى بالنظر والملاحظة، وهو يختلف فى ذلك عن ديكارت إلا أن ما فعله هو الأكثر حكمة"[1]. وهو يلحق العلم الذى ابتكره ودعا إليه نيوتن بفلسفة لوك الذى أعطى مثالاً ونموذجاً لدراسة موضوعية للفكر والعقل الإنسانى[2].، لقد جاء نيوتن بشيء آخر قال عنه كوندياك: "لقد بحث نيوتن بين الظواهر عما إذا كانت هناك ظاهرة يمكن اعتبارها الظاهرة الأساس، أو الظاهرة الجوهر التى يمكن بها تفسير الظواهر الأخرى"، وتعتبر فكرة تلخيص الظواهر فى ظاهرة واحدة هى ما أخذه كوندياك من فلسفة نيوتن وحاول تطبيقها فى مجال علم النفس، فقد كانت الإحساسات لديه هى محور نسقه، كما كانت الجاذبية الكونية جوهر نظام نيوتن. ولقد جاء أثر نيوتن على كوندياك كبيراً يدل على ذلك اهتمامه بقراءته عن طريق قولتير الذى تأثر كوندياك بأسلوبه الساخر اللاذع، وقد ظهر ذلك فى طابع السخرية والتهكم الذى غلب على أسلوب كتابته لمؤلفه الشهير "دراسة فى المذاهب"[3].

وقد تأثر كوندياك بالمناخ الفكرى المادى الذى ساد فى القرن الثامن عشر، وهذا ما كشف عنه مذهب نيوتن المادى، وكذلك الفلاسفة الموسوعيين الذين كان من بينهم الكثير من الماديين، وكان لهذه النزعة تأثيرها على كوندياك، كما ظهرت فى صورة عداء للنسق

([1]) Puchesse, Baguenaultde: Condillac P 28.

([2]) Ibid.

([3]) Ibid.

الميتافيزيقية[1]. وقد أعلن كوندياك ميله الروحى، فالنفس كما يقول، هى التى تحس أى تأثير على الجسم، وقد استبعد فرضية لوك القائلة بأن المادة قد تتمتع بالقدرة على التفكير[2]. والروحية لا تعنى المثالية، وكان كوندياك قد اطلع على نظريات باركلى القائلة بأن المادة لا وجود لها، وأن كينونة الأشياء تكمن فيما ينظر إليه منها، ولقد أفاد باركلى من كتاب قولتير عن نيوتن الذى أوضح فيه نظرية الرؤية الخاصة بهذا اللامادى الإنجليزى، غير أن أكثر ما لفت نظره إلى مذهبه هى رسالة ديدرو عن "المكفوفين" التى عقدت بها مقارنة بين مبادئ باركلى ومبادئه هو شخصياً، وكان ديدور قد كتب أن اللامادية بها ما يستلفت نظره ليس لتفردها، وإنما لصعوبة دحضها بمبادئه، فهى نفس مبادئ باركلى، وكان كوندياك قد لاحظ وعن حق فى كتابه "المقال" أننا لا نرى إلا تفكيرنا الشخصى، وهذا القول هو ذاته منهج باركلى، وبذلك نقد كوندياك اللامادية فى كتابه "دراسة فى الإحساسات"[3].

وفضلاً عن تأثر كوندياك بديكارت، ومالبرانش، وليبنتز، واسبينواز، وباركلى، فقد كان له حظ قراءة مونتنى Montagine فاطلع على مذهبه فى الشك، كما قرأ لبيكون *Bacon* بعد إنجاز مؤلفه الأول "مقالة فى أصل المعارف الإنسانية" عام 1746[4].

---

(1) Ibid.
(2) Ibid.
(3) Ibid.
(4) Ibid.

أما مذهب لوك التجريبى فقد كان هو المعين الأول، والمصدر الأساسى الذى استقى منه أصول مذهبه الحسى، فقد قرأ له مؤلفاته التى ترجمها كوست Coste إلى الفرنسية عام 1700 إذ لم يكن يتقن اللغة الإنجليزية، ولقد استحوذ منهج التجربة على اهتمامه فأفسح له مجالاً كبيراً فى فكره، وتفرغ لقراءته بشغف لم يثنه عن عزمه على قراءته عدم درايته باللغة الإنجليزية فكان يرجع إليه من خلال الترجمة يحذو فى ذلك حذو لوك فى مواضع كثيرة من فلسفته إلى أن اتجه بها اتجاهاً حسياً خالصاً، ويكفى شاهداً على ذلك قراءة كتابه "مقالة فى مصدر المعارف البشرية" لكى ندرك بوضوح أثر لوك على مذهبه[1]. فقد أيده فى استبعاد كل نظرية فى الأفكار الفطرية، واجتهد فى تبيان التجربة باعتبارها مصدراً لكل معارفنا[2].

وقد تميز كوندياك عن الفيلسوف الإنجليزى بتوجيهه قدراً كبيراً من الاهتمام إلى اللغة، وإلى استخدام الإشارات فى تكوين أفكارنا، كما فاقه من ناحية أخرى فى مجال التجريب خاصة فى كتابه "مقال فى الإحساسات"، وإذا كان كوندياك قد أضاف إلى الإحساسات مصدراً آخر للمعارف وهو نشاط الذهن فى صورة تفكير أو قدرات النفس، فإنه فى كتابه "الإحساسات" كان قد أرجعها برمتها إلى الإحساسات، وقد أظهر كوندياك القدرات والقوى ذاتها كأشياء

---

(1) Ibid.

(2) Condillac, E.B. Traite des lere partie , Par Armand cuvillir, librairie larousse, Paris.

مكتسبة وناشئة هى الأخرى من الإحساسات، وهذا هو مذهب "الإحساسات المتحولة"[1].

وفضلاً عن صلة كوندياك بلوك، فقد توطدت صلته بالفلاسفة الموسوعيين[2]. منذ تعرفه عليهم خاصة ديدرو وروسو الذى توطدت بينه وبينهما وشائج صداقة حميمة.

3) أعماله:-

كتب كوندياك عدداً من الكتب القيمة فى العديد من مجالات المعرفة مثل الفلسفة، ونقد المذاهب، والمنطق، والرياضيات والاقتصاد، كما كان له حظ التأليف فى التاريخ، والسياسة، وعلم النفس، وتاريخ العلوم وفلسفتها، وفى تاريخ الفن. وسوف تبرز فيما سيأتى قائمة بأهم مؤلفاته وأشهرها مع التعليق عليها.

(1) مقال فى أصل المعارف الإنسانية:

Essai sur l'origine des connaissances Humaines:

وقد صدر فى عام 1746 وعرض فيه كوندياك لأفكاره الرئيسية قبل ظهور كتابه "دراسة فى الإحساسات" ومن ثم فقد تشابه

([1]) Ibid.

(2) يرتبط اسم الفلاسفة الموسوعيين بحركة التنوير، وهى حركة سياسية اجتماعية كان هدف روادها تصحيح الأخطاء والنقائص الاجتماعية، وتغيير أخلاقيات المجتمع، وأساليبه وسياسته، وأسلوبه فى الحياة، وذلك بنشر آراء فى الخير= =والعدالة والمعرفة العلمية، وتركيز حركة التنوير على فكرة الوعى التى تعد المنطلق فى التغيير وتطور المجتمع، ومن ثم رأى رواد التنوير أن الجهل هو الآفة الكبرى فى شيوع الأخطاء والنقائص الاجتماعية، كان من بين مفكريهم فولتير وروسو ومونتسكيو، وفى ضوء هذه المجهودات لعبت حركة التنوير دوراً كبيراً فى تكوين النظرة الاجتماعية العامة للقرن الثامن عشر.

مضمونه إلى حد ما مع ما أورده كوندياك فى كتابه "دراسة فى الإحساسات" اللاحق عليه، ولكن كما سنرى فيما بعد فإن أهداف واتجاهات كتابه "المقال" تبدو مختلفة بعض الشيء عن أهداف كتابه التالى.

(2) **دراسة فى المذاهب:** ..... ***La traite de systemes***

وصدر فى عام 1749[1]. وهو ينقسم إلى جزئين ينقد كوندياك فى الجزء الأول منه المذاهب العقلية (المجردة) على حد قوله على نحو ما فعل لوك عندما نقد الأفكار الفطرية عند الفلاسفة العقليين أمثال ديكارت ومالبرانش وليبنتز وسبينوزا[2].

وعلى الرغم من عرض كوندياك لثلاثة من المذاهب الحديثة ونقدها بشدة بيد أنه صبّ نقده بوجه خاص على المذاهب المجردة فعرض للمذهب العقلى التصورى، ورأى أنه يستند إلى المبادئ العامة والمجردة، وهى أشد المبادئ خطورة على النفس والعقل، لاعتمادها على الكلمات الجوفاء المجردة، وهى عقيمة وخطيرة؛ لأنها تبرز أمام الحواس ولا تعرف بها، كما يدلل على عقم المذهب العقلى بالمثال الذى يفترض فيه أن شخصاً ولد كفيفاً لكنه بعد التساؤل والتأمل عن الألوان يعتقد أن باستطاعته الكشف عن اللون القرمزى من خلال سماع صوت معين، إن طريقته هذه فى التفكير سوف تصبح هى نفس الطريقة المتبعة للغالبية العظمى من الناس... وهكذا يكون حال التابعين لمذهب الحدس العقلى

---

(1) يوافق العام الذى صدر فيه هذا الكتاب ظهور مؤلف "رسالة عن المكفوفين"، المجلد الأول عن التاريخ الطبيعى، وبعد عام واحد من صدور كتاب روح القوانين لكونتسكيو Traite des sensations' P1

(2) Cpndillac E.B, Traite des sensations lere partie, Armand Cavillier P 5.

الذين لا يتفقون على هدف واحد، وهو ما دفعهم إلى القول بالأفكار الفطرية[1]. وبعد أن ينقد كوندياك المذاهب المجردة بصفة عامة ينطلق إلى تفنيد نظرية الرؤية فى الله عند مالبرانش، ومذهب الذرة الروحية عند ليبنتز، وكان هدفه فى هذه المحاولة هو إبراز أهمية المذهب الحسى الذى يعتمد على إدراك الحواس[2].

وكان إخراج هذا الكتاب ثورة فى عالم الفلسفة فى عصره، فقد أثار إعجاب الكثيرين من الفلاسفة والمفكرين مثل ديدرو الذى شجع كوندياك وأذاع فكرته وتحمس لها، وقد ساعدته طرافة وإثارة هذا الكتاب على تكوين صلات وعلاقات بالكثير من الشخصيات الهامة مثل ميتران وجاسندى، و دالمبير يقول م برنشفيك M Brunschvicg عن أهمية هذا الكتاب: "كان دراسة للمذاهب لكوندياك من أمهات الكتب فى القرن الثامن عشر[3]."

(3) **دراسة فى الإحساسات:** ***Traite des sensations***

صدر فى عام 1754 ،وقدم له كوندياك بمقدمة قيمة توضح الهدف منه، كما أرسله إلى الأمير دى قاسيه.

وقد توج هذا الكتاب مجهود كوندياك فى عالم الفلسفة، وجعله يقف فى مصاف فلاسفة فرنسا العظماء[4].

---

(1) Ibid.

(2) Ibid.

(3) Ibid.

(4) Encyclopedia of Philosophy, Volume (1) U.S.A collier macmillam reprint edition 1973 U.S.A P 79.

تنصب أفكار الكتاب برمتها على فكرة الإحساسات أو الإدراك الحسى، وقد أثار موضوع الكتاب الطريف نقد وهجوم الفلاسفة والمفكرين واعتبره البعض منهم عملاً غير معقول لقيامه على افتراضات مجردة ومستحيلة لأنه من المستحيل أن يوجد فى الواقع شخص يقتصر فى إحساسه على حاسة واحدة، فقط فها هو ذاكابانيس (1757-1807) يأخذ على كوندياك تركيزه على موضوع الإحساسات الخارجية وإهماله لوجود التأثيرات المستمرة التى ترد إلى المخ من جميع الأعضاء الداخلية، والتى تبرهن على أن الشخص يولد وهو مزود داخلياً بما يؤثر على الإدراكات الخارجية فيعطيها معناها[1]. وأنه من المستغرب أن يهتم كوندياك بفكرة حاسة واحدة ويبين أهميتها ثم يعود بعد ذلك للاهتمام بجميع الحواس فى سبيل الحصول على الأفكار، أما جريم Grimn فقد أشاد بالكتاب كما عاب عليه، أشاد بدقته وأحكامه وهدفه الميتافيزيقى، وكذلك بعرضه الفطن الواضح، وعاب على كوندياك قصوره فى التحليل وسرعة معالجته للموضوعات الأكثر أهمية[2].

(4) دراسة فى الحيوان: *Traite des animaux*

صدر هذا الكتاب الطريف عام 1755 فى جزئين خصص الأول منهما لعرض ونقد آراء بوفون عن طبيعة الحيوان وكان الأخير قد أشار إلى الغريزة Instinct التى قدمها بوفون بعد ديكارت كعنصر محرك فطري[3].

---

(1) Condillac E.B: traite de sensations P 6.

(2) Ibid.

(3) Cpndillac E.B, Traite des animaux Dissertation sur l'existance de Dieu, Ed, Armand 1755.

فأصبح موضوعها هو أساس كتاب كوندياك "دراسة فى الحيوان" التى كان يقول عنها أنها تمتلك الإحساس بالمقارنة والحكم، كأن لديها أفكار وذاكرة وتعد الغريزة ذاتها عادة Un habitude خالية كل الخلو من التفكير[1]. ويحاول كوندياك فى هذا المؤلف أن يعرض للحواس ونشوء قوى الحيوان.

وكان الجزء الثانى من هذا الكتاب إسهاماً فى عرض فكرته عن الحيوان والإنسان ففيه أعلى من قدر الإنسان على الحيوان؛ لأنه يدرك الحقيقة ويميزها، كما يحس الجمال، ويخلق العلوم والفنون، ويكتسب المعارف ويدرك مبادئ الأخلاق كما يعرف الآلهة ويعبدها ويحصل بفضلها على الخيرات.

(5) التجارة والحكومة:

La Commerce et la Gouvernement Consideres relativement l'un a l'autre

كتاب قيم يهتم بمعالجة قضايا الاقتصاد السياسى، صدر فى عام 1776 فى جزئين يشرح فى الجزء الأول فيه المعانى الأساسية للتجارة التى يتحدد معها تطور علم الإقتصاد[2]. ويفسر فى الجزء الثانى العلاقة بين الحكومة والتجارة وتأثيراتهما المتبادلة[3]. ويلاحظ أن هذا الكتاب قد ظهر قبل ظهور أبحاث آدم سميت A. Smith عن الطبيعة وأسباب ثروات الأمم، وتجدر الإشارة إلى أن اهتمامات كوندياك بالتجارة والاقتصاد قد بدأت منذ

---

(1) Ibid.

(2) Cpndillac E.B, Le Commerce et Le Gonvernement Considers Relativement L'un a l'autre Armand 1779 preface.

(3) Ibid.

عام 1766، فقد نشر بعد ذلك، "دراسة عن التجارة والحكومة منظوراً إلى كل منهما فى ضوء الأخرى"، كما كان عضواً فى المؤسسة الملكية للزراعة فى أورليان Orleans، وكان يتوق إلى عمل لغة الاقتصاد Langue de la science economique [1]. وقد رأى جريم فى ذلك عقيدة هذا العلم وأساسه، وكان لهذا العمل أصداء واسعة كما أثار مناقشات حادة من جانب الفيزوقراطيين Physiocrates لوترون le trone والقس بيدو Abbe Beudeau ، وقد نهج كوندياك فى هذا الصدد نفس منهجه فى الفرضيات، لنفرض وجود قوم "ملكية طروادة"[2]. وقد سخر ج. ب. ساسى G.B.Sacy من هذه الثرثرة العبقرية، كما هاجم كوندياك كيستى وهو من مشاهير رجال الاقتصاد الذين علا صيتهم واستهدف نقد كوندياك له نظريته فى عدم انتاجية الصناعة والمواد الخام، وكان لكوندياك كذلك فضل السبق فى الوصول إلى بعض مبادئ آدم سميث الاقتصادى الكبير الذى ظهرت له فى نفس العام دراسة فى ثروة الأمم Essia sur la richesse des nations ويرى هنري بودرييار Henri Baudrillart أن كوندياك قد تفوق فى الحديث عن النقود والأموال [3]. يقول كوندياك رجل الاقتصاد والسياسة: "إن قيمة الأشياء تتحدد فى المبادلات وفقاً للاحتياجات وكل طرف من أطراف المعاملة يفترض فيه تحقيق فائدة ما، فلا تتم معادلة الفائدة بالفائدة، وهكذا

---

(1) Ibid.

(2) Ibid.

(3) Ibid.

تـأتى أهميـة الحاجـة"[1]. وبـذلك تمثـل الحاجـة الخطـوط العريضـة فـى نظريـة كونديـاك الاقتصادية التى وضع فيها أسس المذهب الفيزيوقراطى[2].

(6) كتاب المنطق: *La Logique*

صدر فى عام 1780 بعد وفاته وكان يضم جزئين يعرض فى الأول منهما للمنطق لا على الطريقة المدرسية، بل يعرض فيه قوانين الفكر، كما يستخدم التحليل فى ملاحظة قوى النفس حتى تكتشف فن الحركة، وقوى الجسد، وبعد ذلك تصل إلى أصل الأفكار والقوى. أما الجزء الثانى فيتناول فيه فن التفكير فى سبيل الوصول إلى لغة دقيقة ومحكمة.

وكان السبب فى صدور هذا الكتاب هو طلب الكونت بوتوكى Potoki من كونديلك عام 1777 باسم مجلس تعليم شباب بولندا Pologne

---

(1) Dedier, Jean: Condillac. P 61.

(2) Condillac: La Commerce.

اهتمكونديلك اهتماماً بالغاً بالاقتصاد السياسى يشهد بذلك مؤلفه عن التجارة والحكومة الذى وضع فيه أسس المذهب الفيزيوقواطي، وهو أحد المذاهب التى نشأت فى فرنسا فى القرن الثامن عشر، كان هدفه مطالبة أصحابه بحرية الصناعة والتجارة، وبأن الأرض هى المصدر الرئيسى للثروة، وقد رأى أتباع هذا المذاهب أن الزراعة تمثل المصدر الأساسى للثروة، وأن الروح التجارية التى يطلق عليها ماركنتيلزم Mercanitisme وهى تمثل نظام اقتصادى نشأ فى أوروبا خلال تفسخ الإقطاعية لتعزيز ثروة الدولة عن طريق التنظيم الحكومي لضمان اكتمال الاقتصاد الوطنى، وانتهاج سياسات تهدف إلى تطوير الزراعة وانشاء الاحتكارات الخارجية، إلى جانب توافر القوانين المدينة إنما تكفل لكل مواطن حقه للتمتع بجني ثمار عمله، ومن هذا المنطلق قام كونديلك بقضاء بعض الأعوام خارج باريس حيث شعر بالضجر لتفشى الإلحاد، وانتشار المذهب المادى الذى أذاعته النظرية القائلة بأن المادة هى الحقيقة الوحيدة، وأن مظاهر الوجود وعملياته يمكن تفسيرها كمظاهر أو نتائج مادية فضلاً عن انشغال أتباع هذا المذهب بالشئون المالية بدلاً من الاتجاه للفكر والروح Le Commerce, Preface

منهجاً وكتاباً فى المنطق[1]. كما سبق وطلب من جان جاك روسو دراسة فى حكومة بولندا Traite du government de la Pologne وقد ظهر الكتاب عام 1787، وذلك قبل وفاة كوندياك ببضعة شهور[2].

(7) لغة الحسابات: *La Langue des Calculs*

ظهر هذا الكتاب بعد وفاته بحوالى ثمانى عشرة سنة وهو كتاب لم يتمه، غير أن خطوطه الرئيسية تشير إلى هدفه الذى كان يرمى إلى صياغة العلوم برمتها وكذلك الأخلاق والميتافيزيقا حتى تصبح على غرار الرياضيات فى دقتها وإحكامها[3].

وقد أفاض كوندياك فى شرح نظرياته المنطقية فى هذا الكتاب، وكذلك فى كتاب "محاضرة فى الدراسات"[4]. يقول فى هذا الصدد: "إن المنطق يجب أن يتبع المنهج والمسار الطبيعى للعقل الذى تحدده احتياجاتنا" ووفقاً لأسلوب التحليل الذى اتبعه كوندياك فى مثل هذه الحالات يبلغ المنطق هدفه. والتحليل L'analyse كما عرفه كوندياك ليس إلا الملاحظة Observation فى تتابع منتظم لصفات شيء محدد، وذلك بهدف وضعه فى الذهن بنظام تتبعى يماثل واقع ما هو عليه[5].

وهو يجب أن يبدأ من التمثلات المحسوسة representations Sensibles التى يعدها كوندياك أبسط الأشياء وليس من التصورات المجردة

---

(1) Ibid.

(2) Ibid.

(3) Condillac: Traite des sensations, P33.

(4) Condillac, E.B: La Logique, Bloud Paris 1792 P7.

(5) Ibid.

Concepts abstraits، أما أداة التحليل فتكون هى اللغة Le Langege [1].
وهى تكون فى أول الأمر لغة حركة وفعل Langage d'action، وهى فطرية وبدائية وغامضة، ثم تصبح تحليلية عندما يبدأ الإنسان فى استعمال حركات طبيعية gestes naturels مثل الإشارات Signes التى يفسر بها أهداف أفعاله حتى يفهمه الآخرون[2].

يلى ذلك اللغة الكلامية Langage articule وهى الطريقة والمنهج التحليلى الحقيقى: "لا يمكننا الحديث إلا إذا جزأنا الفكرة وحللناها إلى عناصرها للتعبير عن كل منها بدوره، والمرحلة التالية هى مرحلة اللغات الصناعية Les languages artificiels مثل لغة الحسابات أو الرياضيات خاصة لغة الجبر Le langage algebrique [3]. التى تبين لنا أن خلق وإيجاد علم ليس إلا صنع لغة جديدة [4]. "creer une science n' est autre chose que faire une langue".

يقول ديديه عن أعمال كوندياك: "كان فيلسوفاً مغموراً فقد كتب عنه هوقدنج Hoffding صفحتين. بينما لم يشر إليه ابرقيج هاينز Ubrveg Heinz إلا فى بضعة سطور، أما فى فرنسا فباستثناء الأعمال والمؤلفات القديمة الكلاسيكية لروبيير وريتوربيه Robert et de Rethore فلا يوجد إلا مقدمات الطبعات الكلاسيكية لكتابه دراسة فى الإحساسات "الكتاب الأول" التى كتبها الأساتذة بيكافيه، وج. ليون G.Lyon، وكذلك كتاب "كوندياك وعلم النفس الإنجليزى المعاصر" للأستاذ ديوول Dewaule، وقد

---

(1) Ibid.
(2) Ibid.
(3) Condillac, E.B: La Langue des Calculs leipzig 1746 P34.
(4) Ibid.

اتسمت أعمال كوندياك بالكثرة والغموض، فقد ضمت ستة عشر مجلداً في طبعة لو كوانت دورى La Cointe- Durey عام 1821- 1822 خصصت منها ثمان مجلدات للتاريخ القديم والحديث[1].

(1) Dedier,J: Condillac, Preface.